

"الواقع الاجتماعي في مدينة صيدا وانعكاسه على حرية ممارسة الشعائر الدينية" (الطائفة الشيعية أنموذجاً)

إعداد الباحث:

محمد حسن مرعي

دكتوراه في اختصاص علم الاجتماع الديني من الجامعة الإسلامية في لبنان

الملخص:

يتناول بحثنا هذا الواقع الاجتماعي والديني والديمقراطي للطائفة الشيعية في مدينة صيدا، مع التركيز الأهمية الجغرافية والموقع الجيوسياسي الذي تتميز به مدينة صيدا ضمن محيطها الجغرافي والمناطق، كما يهدف بحثنا إلى أهمية وجود الطائفة الشيعية في المدينة من خلال دراسة وفهم تاريخها وأصولها، وتثبيت استقرارها، كما يتناول بحثنا أهم العائلات الشيعية التي ساعدت في تشكيل البنية الاجتماعية وتثبيت وجودها. كما يتناول بحثنا الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للشيعية في مدينة صيدا باعتبارها مكوناً مهماً من مكونات المجتمع في المدينة، ودورهم في تطوير الحياة الاقتصادية والمادية والاجتماعية، ويتناول بحثنا الواقع الديمقراطي للطائفة الشيعية في المدينة والتغيرات التي أثرت في حضورها الديمقراطي والاجتماعي كما يولي البحث اهتماماً بالدور الذي تؤديه المؤسسات والجمعيات الدينية والاجتماعية في تنظيم الحياة العامة في المدينة وتعزيز التضامن والاندماج الاجتماعي وحرية ممارسة الشعائر الدينية. كما اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي مستندين إلى المعطيات الاجتماعية والديمقراطية والتاريخية، من أجل تقديم صورة واضحة وعلمية عن وجود الشيعة في المدينة وطبيعة دورهم في مجتمعهم المحلي.

الكلمات المفتاحية: صيدا، الطائفة الشيعية، الموقع الجغرافي، الدور الجيوسياسي للعائلات الشيعية، الأصول الشيعية، المؤسسات الدينية، الجمعيات الاجتماعية.

المقدمة:

يشكل لبنان نموذجاً فريداً كبلد متعدد الطوائف والمذاهب، حيث تتداخل هذه التعددية في تنظم تشكيلاته الاجتماعية - الدينية والاقتصادية من خلال نظام اجتماعي سياسي، وينعكس هذا التعدد والتنوع الطائفي وخاصة في مدينة صيدا وفي لعب دور المحور على مختلف الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية.

وتعتبر المشكلة الطائفية والمذهبية في لبنان بشكل عام وفي مدينة صيدا بشكل خاص ظاهرة متلازمة للنظام الاجتماعي والسياسي اللبناني منذ تكونه في عهد المتصرفية حتى يومنا هذا. "والإرث التاريخي يؤثر في السياسة عبر المساهمة في بلورة شخصية الشعب وتمييزه.. كما يؤثر الإجماع الديني في الإرث التاريخي بما يعزز توجهاً ما دون غيره"⁽¹⁾.

من هنا سنقوم بدراسة الواقع الاجتماعي والديني للطائفة الشيعية في مدينة صيدا وأثره على حرية ممارسة الشعائر الدينية.

أولاً: الأسباب التي دفعت لاختيار الموضوع وأهميته بالنسبة للباحث

كان اعتمادنا كسبب رئيسي في إعداد هذا البحث على:

أ- على الأرشيف والتوثيق.

ب- الملاحظة المشاركة كوني أحد أفراد هذا المجتمع الصيداوي.

1- د. شوكت اشتي: علم الاجتماع السياسي - مقدمات توضيحية، دار ابعاد بيروت، 2010، ص 57

ج- لم تكن مهمتي كباحث في هذه الدراسة عرض الوقائع والاحداث التاريخية للاقلية الشيعية في مدينة صيدا على أهميتها بل كان الغرض الاساسي هو إيجاد جواب او اجوبة على تجدد الطائفية والمذهبية في البلد بشكل عام وعلى الأبعاد النامية والواقع الاجتماعي والديني للشيعية في مدينة صيدا.

ثانيا: اهداف علم الاجتماع الديني

أ- فهم العلاقة المتبادلة بين المجتمع والدين.

ب- دراسة حرية ممارسة الطقوس والشعائر الدينية وتفسير اختلافها بين الشعوب.

ج- أبرز المواضيع التي يدرسها علم الاجتماع الديني:

1_ أثر القيم الدينية على السياسة والاقتصاد.

2_ سلوك الجماعات الدينية وتفرعاتها وتفاعلهم مع البيئة المحيطة بهم.

ثالثا: تعريف علم الاجتماع الديني والعلوم الاسلامية :

أ- علم الاجتماع الديني : هو فرع من علم الاجتماع الذي يدرس دور الدين في المجتمع.

ب- العلوم الاسلامية: هي العلوم التي إقتضاها الإسلام والتتمدن الإسلامي على ما تقدم وتقسم الى ثلاثة أقسام:

1. العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الاسلامية وتضم قراءة القرآن وتأثيره وتفسيره والحديث والفقه.
2. العلوم اللسانية وهي التي إقتضاها الإسلام ضمناً فإحتاجوا اليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهيم الحديث. وتضم النحو، أداب اللغة، علماء الأداب بلاغة الإنشاء، إنشاء الكتب.
3. التاريخ والجغرافيا وتضم مصادر التاريخ الإسلامي، الطبقات والمغازي، التواريخ العامة، التراجم والمعاجم والجغرافيا عند المسلمين...⁽²⁾

رابعا: مفاهيم في علم الاجتماع الديني

- العقيدة: وهو ما يتعلق بأركان الإيمان الستة:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- الفقه: وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

2 - الشيرازي، محمد الحسيني، الاقتصاد، دار العلوم، بيروت، ط4، 1992. ص95

-التفسير: وهو ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وينضم إليه علوم القرآن التجدد والقراءات والناسخ والمنسوخ وغيرها.

-الحديث: وهو يتعلق بالأحاديث النبوية وهو ينقسم الى قسمين: علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية. ويندرج تحت علم الحديث (علم الرجال)...⁽³⁾

- الطائفة:

كما يقول ناصيف نصار: "جماعة منظمة من الناس يمارسون معتقداً دينياً بوسائل وفنون معينة. إنها تجمع ديني في الأصل والممارسة والغاية. أما إكتسابها مع الزمن بعداً اجتماعياً وسياسياً فذلك عائد إلى نوع فهمها وتطبيقها للدين وإلى الظروف التاريخية التي قطعتها"⁽⁴⁾.

خامساً: الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى كشف آليات الواقع الاجتماعي والديني للشيعة في مدينة صيدا وأثره على حرية الشعائر الدينية وربط تلك الآلية بطبيعة التركيبة الطائفية في المجتمع الصيداوي اللبناني مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت النسبي بين الطوائف والمذاهب في المدينة،

سادساً: الدراسات السابقة

أ- يرى الدكتور غسان طه في أطروحته (القرباة والطائفة والسلطة في منطقة بعلبك الهرمل بين عامي "1860 و1996" ان الربوط الاهلية بدت اشد فاعليه وأكثر بروز واستمرت بالتعبير عن نفسها ككيان تنظيمي سياسي في إطار الطائفة والعائلة والعشيرة.

ب- ترى ناهد عبد القادر الرواس في أطروحتها حول "مسألة النمو الديموغرافي في لبنان بين المستقر والمتحول" أن العديد من الباحثين الذين قاموا بإجراء دراسات عن الوضع الديموغرافي في لبنان كانت قاصرة ولم تتخط الكتابة عنها حدود الوصف بواسطة الأرقام والنسب والمعدلات المكونة لعناصرها من ولادات ووفيات وهجرة، كما أن هناك تناقض حول الوقائع نفسها والفترة الزمنية ذاتها بين مختلف الدراسات ويعود السبب بأنه لا توجد مصادر إحصائيات خالية من التحيز.

سابعاً: إشكالية البحث وسؤاله:

تشكل الطائفة الشيعية في لبنان رقماً مهماً في المعادلة اللبنانية لما تمثله من ثقل ديموغرافي وازن، ومن تمركز على الحدود مع سوريا من جهة، ومع فلسطين المحتلة من جهة أخرى بشكل أساسي، وتداخلها على مساحة لبنان ولو بنسب متفاوتة، ويشكل شيعة مدينة صيدا عينة من المجتمع الشيعي اللبناني من هنا تأتي المقاربة في طرح السؤال الاتي :

ما هو الواقع الاجتماعي والديني لشيعة مدينة صيدا تطبيقاً؟

3- بوابة القرآن 4-9-2021.

4- د. ناصيف نصار: نحو الجديد، مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي، ص 135.

يتفرع من هذا السؤال المركزي مجموعة من الأسئلة على الشكل التالي:

1. ما هي طبيعة واهمية الموقع الجغرافي لمدينة صيدا ؟
- 2-كيف لعب الموقع الجغرافي لمدينة صيدا الدور الجيوسياسي التاريخي والمعاصر ؟
- 3-ما هي الاصول والجزور التاريخية الديمغرافية التي اسست للوجود الشيعي في مدينة صيدا؟
- 4-ماهي اهم العائلات الشيعية التي استقرت في مدينة صيدا؟ وما اهم الادوار التي لعبتها تلك العائلات؟
- 5-كيف ترجم الوجود الشيعي اهميته في مدينة صيدا على المستويين الاجتماعي والديني ؟
- 6- ما هو الواقع الديمغرافي الحديث لشعبة مدينة صيدا ؟ وما هو الدور الذي تلعبه المؤسسات والجمعيات والى اي مدى ينعكس ايجابيا او سلبيا لجهة حرية ممارسة شعائرهم الدينية داخل المدينة ؟

ثامناً: فرضيات البحث:

- 1- يعتبر الموقع الجغرافي لمدينة صيدا صلة وصل استراتيجية مهمة بين العاصمة اللبنانية بيروت والجنوب، مما جعلها في الحاضر كما في الماضي الملتقى والممر الاساسي لجميع المكونات الطائفية من مختلف المناطق.
- 2-اكتسبت مدينة صيدا من خلال موقعها الجغرافي المهم دورا جيوسياسيا محوريا كعاصمة لمحافظة لبنان الجنوبي، مما جعل استقرارها الاجتماعي والسياسي مؤشرا مباشرا على استقرار كافة الجغرافيا اللبنانية.
- 3- ان وجود الشيعة ضمن مدينة صيدا يعبر وجودا راسخا واصيلا تاريخيا، بدأ بفعل النزوح السكاني الطبيعي في حينه وحركات الاستقرار المستمرة في المدينة التي دامت عقود مضت وليس لتغيرات سياسية طارئة وقاهرة.
- 4- لعبت العائلات الشيعية العريقة في مدينة صيدا مثل آل عسيران، صفي الدين، الراعي، شعيب، النبلسي وغيرها (دورا مهم في تثبيت الاندماج والاعتدال، ومن خلال مشاركة شخصيات شيعية صيداوية في العمل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والبلدي في المدينة.
- 5- يساهم شيعة مدينة صيدا بشكل فعال في الدورة الاقتصادية والاجتماعية في المدينة وذلك من خلال انشاء وتطوير المؤسسات الاقتصادية والاستثمارات والتجارة والمهم الحرة وغير ذلك الامر الذي عزز المصالح المشتركة والروابط الاسرية نتيجة الاحتكاك والاندماج الاجتماعي (كالزواج المختلط العابر للمذاهب).
- 6- مدينة صيدا متفاوتة من الناحية الديمغرافية العددية كون الاغلبية من سكان المدينة هم من الطائفة السنية، الا ان الشيعة في مدينة صيدا يتمتعون بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وادارة مؤسساتهم الدينية والاجتماعية وواقفهم (كالحسينيات والمجمعات) وذلك بفضل العيش المشترك والاعراف الميثاقية بالمدينة.

تاسعاً: المنهجية والتقنيات:

1- الخطوات المنهجية

أ- المنهج التاريخي.

ب- المنهج التجريبي.

ج- تحليل الإستطلاع الميداني.

2- تقنيات البحث

أ- التحليل الوصفي.

ب- الملاحظة المقننة.

ج- الملاحظة بالمشاركة.

د- المقابلة:

عاشراً: البحث وإقسامه:

تصميم للبحث

في ضوء سؤال الدراسة ومنهجيتها، يمكن تقسيم الدراسة إلى التمهيد المنهجي وستة أقسام وخاتمة إستنتاجية.

- التمهيد المنهجي: نتحدث في هذا البحث عن الموقع الجغرافي لمدينة صيدا وأهميته الجيوسياسية والدور المهم التي تلعبه مدينة صيدا كعاصمة لمحافظة لبنان الجنوبي ومركز الثقل الإداري الذي تتميز به كما نتحدث عن أصول وتاريخ الشيعة في صيدا وأهم العائلات الشيعية وعن أهمية الشيعة الاجتماعية والاقتصادية كأقلية طائفية وكقوة محافظة ومستوى الاندماج مع باقي الطوائف في المدينة وبالإخص الأغلبية الساحقة من سكان المدينة السنة كما نتحدث عن الوقع الديمغرافي لشيعة المدينة وعن مدى حرية ممارسة شيعة المدينة لشعائهم الدينية.

موضوع البحث:

التمهيد المنهجي

1-الموقع الجغرافي لمدينة صيدا

2-الدور الجيوسياسي الذي تلعبه مدينة صيدا

3-الأصول الشيعية في مدينة صيدا

4 -أهم العائلات الشيعية في مدينة صيدا

5 - الأهمية الاجتماعية والاقتصادية لشعبة مدينة صيدا كقوة محافظة ضمن المجتمع الصيداوي

6 -الواقع الديموغرافي للشعبة في مدينة صيدا ودور المؤسسات والجمعيات في حرية ممارسة الشعائر الدينية.

الخاتمة الاستنتاجية للبحث

1-الموقع الجغرافي لمدينة صيدا:

"نقدم لمحة جغرافية موجزة لمدينة صيدا (الموقع والحدود والمساحة)، حيث تتحصر مدينة صيدا في مربع⁽⁵⁾، حدوده:

- نهر الأولي من الشمال الذي يفصل مدينة صيدا عن إقليم الخروب.
 - نهر سنيق جنوبا والذي يفصل مدينة صيدا عن بلدة الغازية.
 - البحر الأبيض المتوسط، حيث يمتد من ساحل البحر المتوسط بواجهة بحرية تشكل حدّها الغربي، بطول ستة كيلو متر.
- أما الحدود الشرقية لمدينة صيدا فقد يحدها من الجهة الشرقية الجنوبية بلدة درب السيم (ومخيم عين الحلوة الواقع ضمن جراج البلدة) ومن الجهة الشرقية الشمالية فتحدها بلدة البرامية اما من الوسط الشرقي فتحدها بلدة حارة صيد.
- كما تبلغ مساحة مدينة صيدا 7,8 كيلو متر مربع.

إن معظم أراضي مدينة صيدا متجانسة من الناحية المناخية والنباتية والسبب يعود لصغر مساحة المدينة وقلة عرضها الذي لا يتجاوز الواحد كيلو متر.

كما تعتبر مدينة صيدا من اهم المدن الواقعة على الساحل اللبناني، والى الجنوب لبيروت العاصمة اللبنانية، كما يتميز موقع صيدا الجغرافي بأهمية اجتماعية وتاريخية، وتعتبر كمدينة ساحلية عاملا مهما في تطورها الاجتماعي والاقتصادي وذلك بنتيجة تفاعلها المتواصل مع محيطها الجغرافي.

(5) انظر إلى خريطة قضاء صيدا الحالية وتوزع القرى فيه.

وتعتبر مدينة صيدا بانها العاصمة الادارية لمحافظة لبنان الجنوبي، كما انها ومن خلال موقعها الجغرافي تعتبر صلة وصل عبر شبكة طرقات تصلها بمناطق لبنانية مختلفة، ويعتبر هذا الموقع الجغرافي المهم مركزا للتبادل التجاري والحركة السكانية الامر الذي اثار في التركيبة الاجتماعية والدينية في المدينة.

لم يقتصر الموقع الجغرافي لمدينة صيدا على البعد الجغرافي فقط انما يساهم في البعد الثقافي والاجتماعي ايضا وانماط التعايش بين الطوائف الدينية المتعددة، كما اسهم موقعها الجغرافي في انشاء هامش اجتماعي تتجاوز فيه الطوائف والمذاهب المتعددة، الامر الذي يجعل منها نموذجا مهما لدراسة الواقع الاجتماعي والديني للطائفة الشيعية في مدينة صيدا واثره على حرية ممارسة الشعائر الدينية، وعلاقته بالبنية الثقافية والاجتماعية في المدينة.

وبما ان الموقع الجغرافي لمدينة صيدا يرتبط بدراسة الواقع الديني العام، لذلك ان ممارسة الشعائر الدينية تحتاج الى التفاعل مع الطبيعة العمرانية للمدينة وتركيبية السكان ووجود اماكن للعبادة ومؤسسات دينية وتعايش بين مختلف الجماعات الدينية وبالاخص في اطار البحث عن مدي امكانية حرية وحق كل جماعة في ممارسة شعائرها الدينية.

2- الدور الجيوسياسي الذي تلعبه مدينة صيدا:

تلعب مدينة صيدا دورا هاما ومركزيا واستقطابيا كعاصمة لمحافظة لبنان الجنوبي، وتعد صيدا صلة وصل حيوية بين العاصمة بيروت ومناطق الجنوب اللبناني، ومركزا رئيسيا للخدمات الادارية والتعليمية والاستشفائية والتجارية لقرى الجوار والمنطقة.

ويلعب هذا الدور اهمية كبرى بالنسبة الى موقع مدينة صيدا على الساحل اللبناني الذي يربط الجنوب اللبناني بالعاصمة بيروت، من هنا يمكننا ان نعتبر ان المدينة باتت تشكل مركز تقاطع به الحركة التجارية وحركة السكان الامر الذي عزز من مكانتها وجعلها مركزا للخدمات الادارية والاستشفائية والتعليمية والتجارية في القضاء بشكل خاص وعلى مستوى المحافظة بشكل عام، كما ان الدور الجيوسياسي لمدينة صيدا لا يقتصر فقط على البعد الاقتصادي والاداري فقط بل يتخطى ذلك الى طبيعة الواقع الاجتماعي والديني والسياسي الذي تتميز به المدينة، فموقعها ضمن منطقة تتشعب فيها البيئة الاجتماعية من مذاهب وطوائف متعددة الامر الذي جعل من موقعها القريب من مناطق ذات اغلبيه دينية نسبية مختلفة ذات اهمية خاصة في خلق التوازن الاجتماعي والديني في القضاء والمحافظة.

اما من الناحية السياسية، تتميز مدينة صيدا باهمية كبيرة بسبب وزنها الديمغرافي والسياسي في الجنوب بالاستناد الى التركيبة الطائفية في المدينة الامر الذي انعكس ومنذ القدم على الحياة السياسية والانتخابية فيها، و"من خلال البيانات الانتخابية تظهر في المدينة ودود تعدد ديني ومذهبي مع اغلبيه سنية واضحة الى جاني الوجود الشيعي والمسيحي ذات مذاهب متعددة".⁽⁶⁾

كما تعتبر مدينة صيدا ايضا بانها ليست مركزا اداريا وحسب، انما تعتبر مجالا حضاريا تتفاعل من خلال مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والدينية والسياسية، من هنا ان دراسة الدور الجيوسياسي لمدينة صيدا يعتمد على مجموعة من الوظائف الاجتماعية

(6) المجلس اللبناني للدراسات السياسية والاجتماعية (ICPS)، تقرير مدينة صيدا، ويتضمن معطيات السكان والواقع الاجتماعي في المدينة.

والسياسية والخدماتية والادارية وتتداخل هذه الوظائف لتجعل من موقع مدينة صيدا نمذجا هاما لدراسة الواقع الاجتماعي والديني والسياسي في لبنان بشكل عام وفي مدينة صيدا بشكل خاص وبالأخص في مجال البحث في العلاقة بين الموقع الجغرافي للمدينة والتنوع الديني والطائفي وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

3- الاصول الشيعية في مدينة صيدا :

يمتد الوجود الشيعي في مدينة صيدا ومحيطها الى جزور تاريخية اقدم من القرن التاسع عشر مما يشكل حضورا تاريخيا والذي يعود بجزوره الى عمق المنطقة في جبل عامل حيث تتحدر اصول معظم العائلات الشيعية في صيدا من القرى المجاورة وقضاء صور والزهراني وبعض قرى البقاع وتندمج بتركيبة المدينة الاجتماعية والديمغرافية والسياسية.

يعتبر السكان من اهم المكونات التي تساهم في فهم الواقع الديني والاجتماعي في مدينة صيدا، لان التركيبة السكانية في مدينة صيدا لم تولد بشكل ثابت لقد تأثرت عبر التاريخ بعوامل متعددة، اهمها النزوح الداخلي، والحركة الاقتصادية والارتباط الجغرافي والديمغرافي بالمحيط، والتنوع العمراني، والتحولات السياسية والاجتماعية على مستوى لبنان.

ويعتبر الوجود الشيعي في مدينة صيدا مسألة يجب التعامل معها في سياق تاريخي اوسع واعمق من خلال ارتباط المدينة بجبل عامل. تشير المصادر التاريخية الى ان جبل عامل يقع الى الجنوب والجنوب الشرقي لمدينة صيدا، كما تشير المصادر التاريخية ان جبل عامل كان منذ قرون موطناً رئيسياً للطائفة الشيعية الاثني عشرية، في نفس الوقت ارتبطت مدينة صيدا تاريخيا بولاية صيدا العثمانية، " ويؤكد المؤرخ ستيفان وينتر اهمية جبل عامل باعتباره من اقدم مراكز التشيع الاثني عشري في المنطقة، مع وجود الشيعة والسلطات والمراكز الحضرية المحيطة بها. (7)

من هنا لا يجب تفسير الوجود الشيعي في مدينة صيدا على انه ظاهرة حديثة التكوين بل يجب اعتباره من منظومة تاريخية واجتماعية متشعبة ارتبطت بجبل عامل والمناطق الجنوبية ارتباط عضوي. وقد تميزت مدينة صيدا منذ التاريخ بحضور لمذاهب دينية متعددة، الامر والذي خلق تفاعلا بين المكونات الاجتماعية والمذهبية المختلفة. " وتؤكد بعض الدراسات ان صيدا عرفت تاريخيا تنوعا مذهبيا، وان التفاعل بين هذه المكونات لم يكن منفصلا عن التحولات السياسية والادارية التي شهدتها المنطقة". (8)

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين شهدت التركيبة السكانية لمدينة صيدا تحولات مهمة، نتيجة انتقال العائلات الشيعية من المناطق المحيطة ولا سيما من منطقة جبل عامل وصور والنبطية وبعض قرى الجنوب والبقاع، كما اسهمت عوامل اجتماعية واقتصادية وادارية في تعزيز هذا النزوح حيث اعتبرت مدينة صيدا مركزا تجاريا واقتصاديا وخدماتيا مهم، الامر الذي ادى الى جذب السكان من مناطق المحيط.

(7) stefan winter the of libanon under ottomanrule 1516-1788 cambridge university press 2010

(8) المصدر نفسه، ص 8.

اما من الناحية الديمغرافية تعتبر مدينة صيدا ذات غالبية سنية الى جانب حضور شيعي وازن في المدينة بالإضافة الى وجود مسيحي متنوع، وتختلف النسب بين السكان لغياي اي مصادر احصائية رسمية، فبعض البيانات المستندة الى لوائح الشطب في الانتخابات النيابية او البلدية تعطي صورة اوضح عن التوزيع الديني والمذهبي في المدينة، بينما تقدم بعض التقديرات السكانية ارقاما مختلفة عن اللوائح الانتخابية تبعا لاحتساب المقيمين. تظهر بيانات لوائح الناخبين لعام 2014 وجود السنة والشيعية الى جانب الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس والارمن والانجيليين وغيرهم من المكونات الدينية⁽⁹⁾ استنادا الى الناخبين الرسميين الصادرة عن وزارة الداخلية اللبنانية 2014.

وتكتسب التركيبة الديمغرافية في مدينة صيدا اهمية كبرى بالنسبة الى موضوع البحث لان التركيبة الديمغرافية والاجتماعية والسياسية تؤثر بصورة مباشرة على طبيعة العلاقات بين مختلف الجماعات الدينية والمذهبية، وفي انماط ممارسة الشعائر الدينية داخل المجتمع، كما ان وجود جامعات مذهبية متعددة يتطلب البحث في طبيعة العلاقة بينها، ومدى قدرة المجال السياسي والاجتماعي على استيعاب هذا التنوع الديني والمذهبي ضمن مفهوم المواطنة والحقوق والحريات العامة التي نص عليها الدستور.

من هذا المنطلق لايجب النظر الى الوجود الشيعي في مدينة صيدا بمعزل عن المحيط الجغرافي للمدينة، لان مدينة صيدا تشكل ترابط تاريخي وجغرافي بجبل عامل والمحيط والذي كان مركزا مهما للحياة العلمية والاجتماعية للشعبة وقد قام هذا الارتباط في المساهمة في استمرار العلاقات الاجتماعية والدينية بين صيدا والجوار، كما ساهم في انتقال العائلات والافراد والمؤسسات والثقافة الدينية بين المدينة والجوار. تشير الادبيات التاريخية الى ان علماء جبل عامل كان لهم حضور بارز في الحياة العلمية الشيعية، وان المنطقة شكلت فضاء مهما للتعليم الديني والتفاعل الفكري⁽⁵⁾

بناء عليه ان دراسة السكان في مدينة صيدا ليس محصورا بمعرفة عدد السكان او نسبة التوزيع المذهبي، وانما تتجه الى معرفة البنية الاجتماعية والدينية والديمغرافية للمدينة، وكيف تشكلت تاريخيا، وكيف انعكست هذه البنية على العلاقات الاجتماعية والدينية والسياسية. من هنا تأتي اهمية هذا القسم من دراسة حرية ممارسة الشعائر الدينية لان ممارسة الشعائر الدينية مرتبطة بطبيعة ثقافة الجماعة الدينية وحضورها الديمغرافي ووعيها الاجتماعي وبمدى تأثير المؤسسات والجمعيات الدينية والاجتماعية التي تسمح لها بممارسة شعائرها الدينية الخاصة بصورة علنية وبالتالي فإن دراسة التحولات الديمغرافية والوجود المذهبي في مدينة صيدا تعتبر مدخلا اساسيا لفهم طبيعة التفاعل بين الاقلية والاعلبية الدينية او الطائفية، ومدى انعكاس هذا المفهوم على الحريات الدينية وممارسة الشعائر الخاصة بها.

4- اهم العائلات الشيعية في مدينة صيدا:

تعتبر العائلات الشيعية في مدينة صيدا احد المكونات الاساسية في التركيبة الديمغرافية، والتي ساهمت بشكل كبير على المحافظة على التماسك الاجتماعي في المدينة، وتعتبر دراسة العائلات الشيعية في مدينة صيدا ذات اهمية خاصة في فهم تطور الوجود الشيعي في

(9) التوزيع حسب المذاهب للناخبين -ناخبات في قضاء صيدا (المدينة).

المدينة وبالأخص ان هذا الوجود لم يكن منفصلا عن النسيج الاجتماعي العام، بل تفاعل معه من خلال الروابط الاسرية كالمصاهرة والعلاقات التجارية والاجتماعية والمشاركة في الحياة العامة.

وتشير المصادر المختصة في الشأن الاجتماعي والطائفي في مدينة صيدا الى وجود عدد من العائلات الشيعية المعروفة في مدينة صيدا من ابرزها :

"(عسيران - الراعي - حيدر - صفي الدين - وكوثراني - والسيد - عزالدين طعان - شعيب والنايلسي.....)"⁽¹⁰⁾

وتعتبر عائلة عسيران من العائلات الاجتماعية والسياسية ذات حضور وازن على مستوى لبنان ومدينة صيدا وعلى المستوى التاريخي والاجتماعي والسياسي " كما تشير وثيقة شرعية الى وجود افراد من الاسرة في صيدا منذ القرن الثامن عشر، ومنهم الحاج عبيد علي عسيران الذي اشترى دارا في محلة الخيمة، المعروفة لاحقا بمحلة رجال الاربعيين⁽¹¹⁾ "كما برز عدد من افراد آل عسيران من بينهم الرئيس عادل عسيران الذي ارتبط اسمه بالحياة الاجتماعية والسياسية اللبنانية وبمدينة صيدا وجوارها "وتظهر المصادر الحديثة الى ان استمرار حضور عائلة عسيران في الحياة الاجتماعية والسياسية في المدينة وجوارها الامر الذي يعكس امتدادا تاريخيا لدورها ضمن المجتمع الصيداوي⁽¹²⁾

اما من الناحية المكانية، ارتبط الوجود الشيعي في مدينة صيدا تاريخيا بشكل خاص بمنطقة رجال الاربعيين، قبل ان ينتشر افراد الطائفة الشيعية وعائلاتها في مناطق مختلفة من المدينة. "وتشير المصادر الى وجود مؤسسات دينية واجتماعية شيعية في المدينة، وهو ما يعكس انتقال الحضور الشيعي من مجرد تجمعات عائلية الى حضور اجتماعي ومؤسساتي اكثر اتساعا⁽¹³⁾

5-الاهمية الاجتماعية والاقتصادية لشيعية مدينة صيدا كقوة محافظة ضمن المجتمع الصيداوي:

كما تعتبر الطائفة الشيعية في مدينة صيدا بوصفها كأحد اهم اشكال القوة الاجتماعية والاقتصادية المحافظة، وتستمد هذه القوة من مجموعة من المعايير الثقافية التي اكتسبت شرعيتها من التاريخ الاجتماعي للمدينة. وتتميز هذه القوة من خلال العلاقات الاسرية والزواج المختلط بين مختلف المكونات الطائفية للمدينة وبالأخص الطائفة السنية، وايضا من خلال المشاركة بالمناسبات الاجتماعية والدينية دون تمييز طائفي الامر الذي ادى الى التماسك الاجتماعي في المدينة.

ولا تنفصل الاهمية الاجتماعية عن الاقتصادية فقد ساهمت المؤسسات الاقتصادية التي يمتلكها شيعية المدينة :من (مستشفيات ومؤسسات تجارية ومالية وجامعات وجمعيات اجتماعية وغيرها) في تماسك المجتمع المحلي اقتصاديا وتطوره، كما ان الترابط بين

(10)"محسن الامين، اعيان الشيعة، ج2، دار التعارف للمطبوعات: بيروت 1983، ص 492

(11)"انيس الابيض، موسوعة قرى ومدن لبنان مادة، "صيدا تتضمن معلومات جغرافية واجتماعية عن المدينة وتوزع سكانها.

(12)"مادة ارشيفية من جريدة السفير حول التعدد المذهبي في صيدا وتتضمن اسماء العائلات الشيعية ومؤسساتها الاجتماعية والدينية

(13)تاريخ شيعية لبنان، الجزء الثاني، ويتضمن اشارات الى الدور السياسي والاجتماعي لبعض العائلات الشيعية في منطقة صيدا وجوارها ومنها آل عسيران.

النشاط الاقتصادي والنشاط الاجتماعي نتج عنه علاقات اجتماعية متينة بين أبناء المدينة وبالتالي أصبحت عنصر استقرار واستمرار للثقة المتبادلة في المدينة.

6-الواقع الديمغرافي للشيعية في مدينة صيدا ودور المؤسسات والجمعيات في حرية ممارسة الشعائر الدينية :

"حيث يشكل الشيعة في مدينة صيدا (المتنوع دينياً وطائفيًا) حوالي 9% من إجمالي السكان المحليين في دائرة الأحوال الشخصية، حين يشكل المسيحيين حوالي 5% والسنة حوالي 84% ويتوزع الشيعة على منطقتين جغرافيتين جنوبي مدينة صيدا منطقة رجال الاربعين وشرقي صيدا منطقة حي الصباغ." (14)

يعتبر أبناء الطائفة الشيعية أقلية في مدينة صيدا، حيث الأغلبية الساحقة من أبنائها تنتمي إلى الطائفة السنية، وقد سعت مؤسسات دينية وثقافية في تمكين وحرية ممارسة الشعائر الدينية لشيعة المدينة من خلال انشاء مجمعات دينية وثقافية وحسينيات تقام فيها الانشطة الدينية والاجتماعية.

بقي الوضع كما هو حتى مرحلة تمكين الأحزاب العقائدية، حيث تقلت البعض من الولاء للزعامات التقليدية، ووجد حلاً لوضعه السياسي في يد تركيبتها طائفية، لاسيما الشيعة منهم في مدينة صيدا الذين كانوا فاقد الهوية المذهبية السياسية بسبب ضعف قياداتهم السياسية التي لم تدعمهم معنوياً على الأقل فإنتموا إلى الأحزاب اليسارية وطالبوا بالعلمنة والمواطنة كسبيل للتخلص من ضغط الأكثرية من جهة، وضغط الإنتماء إلى قيادات من طوائف أخرى.

"اما العلاقة مع الجنوب تعود إلى كونها أقرب مدينة صيدا والتي أثرت على العلاقات الاقتصادية بالدرجة الأولى (15)، فضلاً عن العلاقات السياسية (16) والاجتماعية (17) والدينية (18)، لشيعة مدينة صيدا والأهم العلاقات التنظيمية لاسيما في مرحلتي أمل وحزب الله، وهي مرحلة متأخرة بل الأخيرة في مسار قراءتنا لتطور الواقع الاجتماعي والديني ومدى حرية ممارسة الشعائر الدينية للأقلية الشيعية في مدينة صيدا، حيث كانت حلقات وصلهم مع الحارة أو الغازية لفترات طويلة.

يعود تأثير بيروت إلى تمركز الوظائف والمراكز الإدارية وانتشار الجامعات والحركات الطلابية، فهي مركز الحراك السياسي من مظاهرات واعتصامات وفعاليات ثقافية وفكرية... كذلك العلاقة مع الضاحية، لتواجد أكبر كثافة سكانية شيعية وبوصفها عاصمة المقاومة لاحقاً

(14)مقابلة مع مختار صيدا للشيعة حي رجال الاربعين الاستاذ نزيه مصطفى حيدر بتاريخ 2024/7/5

(15) مثلاً كان الإنتاج الأهم في صيدا "الحمصيات والموز" كان تصريف موسمه يكون في حصة صيدا.

(16) عبر حركة القوميين العرب في الستينات، أو مع معروف ومصطفى سعد بحكم العلاقة التنظيمية للمنتسبين إلى التنظيم الناصري، ولاحقاً عبر العلاقة مع آل الحريري.

(17) إنتشار المستشفيات والمراكز الصحية والتعليمية...

(18) كما ورد معنا سابقاً (آل عسيران وعلاقة بعض المتدينين معهم، الشيخ عفيف النابلسي الذي استقر لاحقاً في صيدا، ولاسيما عندما تم تشييد مجمع السيدة الزهراء)، المحكمة الجعفرية،...

ومقر المرجعية الدينية⁽¹⁹⁾؛ بينما العلاقة مع الجبل وتحديداً بلدات "كيفون والقماطية وجون والحية والوردانية" فيه، فتعود إلى الارتباط الطائفي والتنظيمي كعامل أساسي في هذا التفاعل ولو كان محدوداً في الزمن والشريحة.

وسط هذه المشهدية المعقدة في الديموغرافيا السياسية، والجغرافيا السياسية، تأتي دراستنا، في منطقة حساسة في الأمن والسياسة، فهي ضمن نطاق النفوذ السني، وفي أحضان الطائفة السنية التي يُعاد إنتاجها الآن ضمن لعبة الإعتدال والتكفير، وعلى تخوم نهر الأولي كخط دفاع أول ومباشر عن بيروت والضاحية في سيناريوهات الحرب المفترضة على جدول الصراع بين إسرائيل والمقاومة.

يختلف الحضور والأداء الديني الطائفي باختلاف التركيبة الديمغرافية والمجتمعية لكل حي في مدينة صيدا، وهذا يظهر في تنوع حضور الأحزاب العلمانية بينها، وتفاوت نفوذ الأحزاب الطائفية فيها فيما بعد.

الخاتمة الاستنتاجية للبحث

خلص هذا البحث الى ان دراسة الواقع الاجتماعي والديني للطائفة الشيعية في مدينة صيدا واثره على حرية الشعائر الدينية لا يمكن فصلها عن الموقع الجغرافي المهم للمدينة، ودورها الجيوسياسي والتاريخي في لبنان، اذ ساهم موقعها كصلة وصل بين الجنوب وبيروت العاصمة الى جعلها مركزا للتعايش بين مختلف المكونات الدينية والاجتماعية في المدينة، الامر الذي انعكس على طبيعة تركيبها الديمغرافية والاجتماعية عبر التاريخ.

كما اظهرت الدراسة ان اصل ووجود الشيعي في مدينة صيدا لم يكن وجود طارئاً بل هو وجود مبني على جذور ديمغرافية وتاريخية، كما ارتبط استقرار العائلات الشيعية في المدينة في تكوين البنية الاجتماعية للطائفة، وتعزيز حضورها داخل المدينة. ولم يقتصر دور العائلات الشيعية في المدينة على المحافظة على الروابط العائلية فقط وانما هو امتداد الى المجالات الاجتماعية والدينية والاقتصادية مما ساهم في ترسيخ الحضور الشيعي ضمن المجتمع الصيداوي

وكان للعائلات الشيعية الصيداوية دور اساسي ومهما في بناء دولة لبنان الحديثة منذ الاستقلال وقبله. ودور لا بأس به في تطور الواقع الاجتماعي والديني وحرية ممارسة الشعائر الدينية للاقلية الشيعية في المدينة عبر انشاء بعض دور العبادة كحسينية رجال الاربعةين ومسجد عبدالله عادل عسيران وانشاء بعض المستشفيات كمستشفى شعيب ومستشفى عسيران ومستشفى الراعي ومؤخرا مستشفى حمود

ومن خلال الدراسة يمكننا ان نعتبر ان الواقع الاجتماعي والديني للطائفة الشيعية في مدينة صيدا هو ناتج عن تفاعل واندماج مجموعة من العوامل التاريخية والديموغرافية والدينية والاجتماعية والجغرافية، وان فهم هذا الواقع من منظور علمي متوازن يقتضي النظر اليه من منظار عام للتنوع الاجتماعي والديني والمذهبي الذي تتميز به مدينة صيدا

وعلى ضوء المشكلات المتعددة التي كان يعاني منها المجتمع الشيعي بشكل عام والتي تنطبق كذلك على مجتمع الاقلية الشيعية في مدينة صيدا، تشكلت عدة مؤسسات وجمعيات برعاية وتمويل الاحزاب الطائفية او بإشراف ومباركة المجلس الاسلامي الشيعي

(19) مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى - في مرحلة زمنية محددة بعد إنتقاله من الحازمية -، مرجعية السيد محمد حسين فضل الله، الحوزات والمراكز الدينية المختلفة، مكاتب وكلاء المراجع الشيعية في إيران والعراق.

الأعلى وبعض المرجعيات الشيعية وكان الهدف الأول من تأسيسها معالجة هذه المشكلات وعلى كافة الأصعدة إقتصادية كانت أم إجتماعية ودينية وسياسية قدر المستطاع وكل حسب إمكانياته.

أخذت هذه الجمعيات والمؤسسات الطائفية بالتطور عبر الزمن حتى أنها في بعض الأحيان أخذت دور الدولة التي كانت مقصرة عبر التاريخ في تنمية المناطق الشيعية.

فكان من هذه المؤسسات المالية في لبنان بشكل عام وفي مدينة صيدا بشكل خاص والتي كانت تقوم بدور المصارف من خلال تنشئة الأجيال الشابة بما يتناسب وتعاليم الطائفة دينياً وسياسياً، والصحية التي تساعد في خفض الفاتورة الإستشفائية ضمن المستشفيات الخاصة بالطائفة وكل هذا يساعد بالتخفيف من الأعباء المتراكمة على كاهل المواطن الشيعي في لبنان عموماً وفي مدينة صيدا خصوصاً في غياب شبه تام لمؤسسات الدولة الاجتماعية.

إن الدور الذي لعبته المؤسسات والجمعيات والمنظمات الشيعية ساهم إلى حد كبير بتخفيف التهميش الذي كانت تعاني منه هذه الطائفة الشيعية في لبنان بشكل عام ولشيعية مدينة صيدا بشكل خاص إلا أن هذا الدور يبقى غير كافٍ بسبب قلة الموارد وإنخفاض الميزانيات والتي تقوم بشكل أساسي على التبرعات والمساهمات من أبناء الطائفة الميسوريين.

التوصيات:

- تعزيز التوثيق الديمغرافي والتاريخي للوجود الشيعي في مدينة صيدا.
- دعم الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية والدينية وتعزيز دورها في المجتمع.
- ترسيخ الاندماج الاجتماعي والتعايش المشترك بين مختلف المكونات الدينية والطائفية في المدينة.
- ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية للأقليات في إطار القانون العام.
- تشجيع الدراسات والأبحاث الأكاديمية حول التنوع الديني والاجتماعي في مدينة صيدا ولبنان.

المصادر والمراجع

- الابيض، انيس: موسوعة قرى ومدن لبنان مادة، "صيدا تتضمن معلومات جغرافية واجتماعية عن المدينة وتوزع سكانها.
- الامين، محسن: اعيان الشيعة، ج2، دار التعارف للمطبوعات: بيروت 1983.
- اشتي، شوكت: علم الاجتماع السياسي - مقدمات توضيحية، دار ابعاد بيروت، 2010.

بوابة القرآن 4-9-2021.

الحسيني، محمد: الاقتصاد، دار العلوم، بيروت، ط4، 1992.

المجلس اللبناني للدراسات السياسية والاجتماعية (lcps)، تقرير مدينة صيدا، ويتضمن معطيات السكان والواقع الاجتماعي في المدينة.

نصار، ناصيف: نحو الجديد، مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي.

مقابلة مع مختار صيدا للشيعية الاستاذ نزيه مصطفى حيدر، منطقة رجال الاربعين. بتاريخ 2024/7/5.

<http://www.lebaneseinrael.com/X/?p=36311>

جريدة السفير، بتاريخ 2009/8/31.

الموقع الإلكتروني: بوابة السياسة.

موقع وزارة الداخلية والبلديات على الإنترنت.

stefan winter the of libanon under ottomanrule 1516–1788 cambridge university press 2010